المحاضرة الثانية عشر

النقد الأيديولوجي

المدة: ساعة ونصف

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثانية (لسانس)

1-مقدمة:

النقد الإديولوجي هو النقد الذي يقارب النصوص تحت تأثير معتقدات أو أفكار الناقد الذي يمارسه، وغالبا ما يحدث ذلك عن طريق الاستسلام اللاشعوري لتلك المعتقدات، وعن طريق المواقف النقدية الجاهزة، فينتج عن ذلك نص مشوه ضيق الأفق، مشوه الوعي، يتعسر على المتلقي فهما فهما موضوعيا.

وتشير الدراسات إلى أن هذا المصطلح "الإيديولوجيا" ظهر مع الثورة الفرنسية للدلاله على رؤية وتوجه في الحياة تتبناه جماعة ما، ثم انسحب المفهوم ليمتد إلى مناحي الحياة المختلفة مثل: التراث، الدين، النظريات، المناهج وغيرها، حاملا معه الكثير من الأقنعة والأفكار المضللة نتيجة اختفاء الحدود بين ما هو أيديولوجي وما هو غير ذلك، وصار الموضوع إشكاليا تتناوله الدراسات الفلسفية كمحور من محاور الجدل الفكري.

2-مفهوم الأيديولوجيا:

الأيديولوجيا مفهوم متعدد الاستخدامات وتعرف بناء على الحقل الذي توظف فيه، فنجد الأيدولوجيا في علم السياسة والقانون وعلم الإجتماع والعلوم الإنسانية بما فيها الأدب والنقد، وفي كل ميدان تأخذ دلالة تتناسب والسياق العام الذي وظفت فيه، لكن التعريف الأكثر

توافقا عليه هو كون الإيديولوجية علم الأفكار، وهي مجموعة الآراء والمعتقدات والفلسفات التي تؤمن بها أمة أو شعب أو حزب أو جماعة. وقد ظهر المصطلح بداية مع الثورة الفرنسية في ميدان السياسة، وبالضبط مع ظهور الفكر الماركسي.

3-نشأة النقد الإيديولوجي وخلفياته المعرفية:

يتضح من خلال البحث في الأصول المعرفية للنقد الإيديولوجي أن الفكر الماركسي الغربي شكل مرجعية هامة في تغذي هذا التوجه النقدي، حيث دعت الماركسية إلى تفكيك البنية اللغوية الضيقة للنص والانتفتاح على سياقاته الأخرى، ومن خلاله تفكيك بنية المجتمع الطبقي والانتفتاح على الطبقات الأخرى.

ويقدم تيري إيجلتون دراسة هامة في هذا السياق من خلال كتابه "النقد والإيديولوجية" التي يتعرض فيها لمفهوم الأيديولوجية، متمكنا فيه من تجاوز التعريف الماركسي التقليدي الذي يعتبرها وعيا زائفا إلى مسارات أخرى، ويدخل الكتاب ضمن سلسة علمية بدأها ب "الماركسية والنقد الأدبي" سنة 1976، ويعد من أهم الدراسات التي تناولت العلاقة بين الاديولوجية والشكل الأدبي في النقد المعاصر، ويتطرق ايجلتون في مؤلفه هذا إلى الحديث عن الديموقراطية والجماهير وعلاقتهما بالنقد والأيديولوجية، فالكتابة الاجتماعية هي دراسة تفصيلية شارحة للأشكال والمفاهيم الاجتماعية.

4-الأيديولوجيا والأدب:

إذا سلمنا سلفا أن الأدب نص جمالي يعبر عن التجربة الفردية لصاحبه، بلغة خاصة وايماءات ذات دلالة، فلا غرابة أن يكون هذا النص وسطا فعالا للإيديولوجيا بل هو منتجها، لأننا لا يمكن أن نفصل ذات المبدع عن أفكاره ورؤاه، أيا كان هذا المبدع أديبا أو شاعرا أو ناقدا. ويمكن للنص أن يخفي هذه الإيديولوجيا ضمن أنساقه المضمرة، فتبدو كبنيات جمالية

أكثر منها إيديولوجية، ومهمة الناقد هنا أن يبرز حدود العلاقة بين النص الأدبي والإيديولوجية المتضمنة فيه.

5-الأيديولوجيا والنقد:

دعت المنطلقات الفلسفية التي نهل منها النقد الإيديولوجي وعلى رأسها الفكر الماركسي إلى تغيير وجهة المقاربة النقدية، فأصبح ينظر للنصوص من حيث مدى استجابتها للمتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية، فكانت الدعوة إلى تغيير الأشكال الأدبية لتتماشى وتحقيق هذه الغاية أي خدمة الحاجة الاجتماعية للفرد، ودون الاشتغال في هذا المدار من شأنه أن يعزل الناقد ويفرغ نشاطه النقدي من أي قيمة أو فائدة. [1]

وكان من أبرز نتائج اهتمام النقد الماركسي بإيديولوجية النص الأدبي، أن أصبحت دراسة المضامين من المهام الأساسية للنقد الأدبي، إذ تصنف في المستوى الأول ثم تأتي بعدها الجوانب الفنية.

5-النقد الأيديولوجي في الفكر العربي المعاصر:

يشيرا صاحبا "دليل الناقد الأدبي" إلى أن مفهوم النقد الإيديولوجي قد عرف عدة تسميات في النقد الغربي ذاته، من قبيل: النقد الاجتماعي، النقد اليساري والماركسي وغيرها، وامتد هذا التعدد الاصطلاحي إلى الساحة النقدية العربية على حسب مستخدميه، فكل ناقد يترجم وفقا لخلفيته المعرفية والإيديولوجية، بل هناك من نقادنا العرب من وصفه ب "النقد الممثل للحداثة في وجه القدم" و" النقد الصحيح" مقابل "النقد الخاطئ"، وقد عمرت هذه المفاهيم طيلة عقدين من الزمن. [2]

---

[1]-ينظر: حميد لحميداني: ص 66

[2]-ينظر: سعد البازعي، ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، ص 253

وقد دفعت حركات التحرر القومي مع جملة التحولات الاجتماعية والسياسية في الوطن العربي بهذا التوجه الإيديولوجي في الحركة الأدبية والنقدية.

فالشعوب العربية وجدت ضالتها في مبادئ النقد الإيديولوجي التي كانت تدعو إلى الاهتمام بقضايا المجتمع والعمل على تصوير معاناة أفراده، والبحث عن الحرية في عالم كان يرنح تحت الأغلال، ذلك ما يذهب إليه جابر عصفور في قوله: "لم يكن من قبيل المصادفة أن يغدو المذهب الواقعي، كما وكيفا، أكثر المذاهب الأدبية والنقدية شيوعا في الوطن العربي، وذلك بسبب مبادئه التي تصل وصلا حميما بين الفن والواقع في حركته المتحولة، والتي تؤكد ضرورة الالتزام بنقد الواقع الساكن وتعرية سلبياته، تطلعا إلى واقع جديد وتبشيرا به"[3]

يتضح من القول السابق أن التيار الإيديولوجي تزامن وظهور حركات التحرر القومي في الوطن العربي، حيث حاول الأدب ومعه النقد الاستجابة للمتغيرات المحيطة، باتخاذ مواقف تدعو إلى أنماط جديدة لم تعرف سابقا. ويعد كتاب "في الثقافة المصرية" لصاحبيه "محمود أمين العالم" و"عبد العظيم أنيس" من أهم ما ألف في تلك الفترة، حيث حاول إرساء قواعد وأسس النقد الواقعي. وتعاقب إصدار الكتب في نفس الاتجاه، وتعد كتب محمد مندور مرجعا أساسيا للنقد الواقعي في النقد العربي الحديث.

ويشير الدكتور صلاح فضل في كتابه "منهج الواقعية في الإبداع الأدبي" إلى أن النقد العربي كان أقل حظا في استثمار مبادئ الواقعية مقارنة بالأدب، وقد اقتصرت جهوده على تيارين: الأول تعرض لها بشكل عام خالط بينها وبين الطبيعية التي تطفو عليها النزعة التشاؤمية لكونها غرقت في مستنقع ترصد السلبيات، غافلة في الوقت ذاته عن الجانب الفني الإبداعي. أما التيار الثاني فأفرط في الإيديولوجيا الماركسية، وتعصب لها بشكل لم تشهده حتى في موطنها الأصلي.[4]

---

[3] – جابر عصفور: تحديات الناقد المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2014، ص 257

[4] : ينظر: صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط2، 1980، ص8

نشاط إجمالي:

_السند:

إليك القول التالي: "في كثير من الأحيان، تخرج رؤية الكاتب للواقع على شكل بوح واعتراف دفين بالألم، وإحساس سادر بالمهانة والضعف والهزيمة. وفي ذلك، إطلالة من عل على دواخل الكاتب، وما يشعر به تجاه ذاته المبدعة، وتجاه الآخرين أي: القراء. وإذا ما ربطنا هذا الفعل بالمواقف والقناعات، نجد أن البعد الأيديولوجي، في النقد، يحتل مرتبة أساسية، بل يهيمن بشكل فعلي وكلي على الباحث والدارس للمتن، بهدف استبانة هذه العلاقة الغامضة والمبهمة والملتبسة، التي تجمع بين المبدع وما يحيط به".

_المهمة: حلل وناقش القول بناء على معارفك المكتسبة من المحاضرة واستنادا على السند المقدم.